الفصل الاول

تمهـــيد

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الاول

تمهيد

تمهيد:

أكد فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦م) على أهمية دراسة التقاليد أى نقل التراث الثقافى من جيل إلى جيل، لأن التربية من الوجهة النظرية الاجتماعية الحديثة ما هى إلا ذلك المجهود الذى يبذل بقصد المحافظة على استمرار التقاليد العامة وتنميتها، وما دام العقل الاجتماعى أو هذه التقاليد العامة أو خلاصة الخبرة البرية لا وجود لها إلا فى عقول الأفراد قليس من الممكن الاحتفاظ بهذا الاستمرار ولا ضمان لذلك النمو إلا بإعداد النشئ، تدريجياً لهم التقاليد الجمعية بوجه عام وتدريب بعض العقول لتقبل النواحى الخاصة الراقية من هذه التقاليد ومن غير وراثة الخبرات البشرية لنشاط الفرد فى الأوساط الاجتماعية يصبح الفرد فكرة لا قيمة له .

وتكمن مشكلة التربية فى عملية نقل عناصر الثقافة والحياة الاجتماعية فى الماضى للأجيال الجديدة لما لها من قيمة فى إعادة تشكيل الخبرات الجديدة ولأهميتها فى إبراز عملية التطور الحادث للجنس البشرى.

ولما كانت التربية محطة عوامل ومؤثرات مختلفة، فالنظام التعليمى بما يتضمنه من عمليات وتنظيمات وما يواجهه من مشكلات وقضايا يتأثر بطبيعة المرحلة التى يعيشها، غير أنه يتاثر فى نفس الوقت بعوامل ورثها عن الماضى، لذا فدراستنا للتراث التربوى تعين على فهم تطور التربية ومواجهة ومشكلاته بصورة أكثر وضوحاً وذكاء على أساس التعرف على العوامل والقوى الثقافية المؤثرة فى تشكيل المجتمعات .

من هنا فإن التخطيط للتعليم وتوجيهه والتعمق فى مفاهيمه ومشكلاتها يستند إلى الأسس المتصلة بالتراث، حيث أن التعليم يعتبر جانباً متكاملاً من الثقافة التى ينتمى إليها، ينفعل بما فيها من قوى وبما انفعلت به من عوامل ومؤثرات، وقد يكون الخطر فى النظر إلى التعليم على أنه وحدة مستقلة فى كل مرحلة من مراحل التطور، أنه ببساطة عديدة يتاثر بأصوله الممتدة من الماضى، ودراستنا لتربية الإنسان بهذا المنظور تعنى مسئولية جديدة وهى دراسة جذور مشكلات التعليم واتجاهاته، ووسائل مواجهتها فى الماضى ومدى ملاءمة هذه الوسائل لطبيعة المرحلة التى يواجه فيها التعليم مسئولياته.

ومن هذا المنطلق يرى التعليم نفسه من زاويتين :

الأولى: العناصر التى ورثها عن الماضى وأثر مقابلة القديم بالحديث فى إيجاد مشكلاته .

الثانية: كيفية مواجهة الجماعات المختلفة فى الظروف المختلفة للمشكلات المماثلة .

وعلى هذا النحو يرى التعليم نفسه أمام حتمية موضوعية، وهى أن يراجع نفسه فى ضوء نظرته إلى أوضاعه على أنها متأثرة بماضيه، وعلى أن هذا الماضى متضمن فى حاضره، ولابد من فحصه دائماً تخفيفاً لمستقبل أفضل على ضوء حركة القوى الاجتماعية والاقتصادية وما بينهما من تناقض أو التقاء، وسجل لاشعوب هو تراثهم لا يستطيع التربويون إدارة ظهورهم له لأنه يزيد الفكر التربوى الحاضنر ثرا، ولو فعلوا ذلك لقطعوا الصل عن المنبع وعن الجذور والمنبت، لذا يتحتم عليهم دائماً وباستمرار

العودة إليه والتعرف عليه لكونه أحدى قوى المجتمع، وجزءاً لا يتجزأ منه، يسير مع الأمة تطوراً وتقدماً أو تخلفاً وتدهوراً ينعكس على سياسة الحاكم وأيدلوجيته، ونظرة المجتمع وفلسفته، ونفسية المواطن وتكوينه، كل هذا ينعكس على أهداف التعليم فيحددها، ويضع لها المعايير ووسائل التنفيذ، وهذه بدورها تنعكس على مناهج وبرامج ومقررات النظم التعليمية وجميع مكوناته .

وإستقراء التاريخ بكل ما تضمنه من آراء ونظريات وفلسفات مع تجنب الخوض فى تفاصيل الأحداث التاريخية الصرفة يجعلنا نتطلع إلى دلالة الأحداث عامة واثرها على التربية خاصة وهذا يجعلنا قادرين على تعلم ما سوف يحدث وما لا يمكن العودة إليه .

إذا نظرنا نظرة فاحصة عميقة إلى مشكلات حاضرنا التعليمى لأدركنا على الفور أنها امتداد للتجارب التربوية للأسلاف، وما هى إلا تراكمات تجمعت وبلورت هذه المشكلات فى صورتها الراهنة، ولا يمكن التصدى للحلول دون الرجوع والبحث فيما اختزنه الماضى من تجارب هؤلاء السابقين لنا، وبهذه الطريقة يمكننا التوصل إلى تكيف حاضرنا ورسم مستقبلنا التربوى كما نحب ونرغب .

والحاجة التربوية العملى من الناحية الاجتماعية هى حسن إذاعة ونشر الحقائق النافعة طالما أن هناك حاجة لتنمية المعرفة وتوسيع نطاقها، ولا نكون قد تجاوزنا إذا قلنا أن تنمية المعرفة أسهل واسرع من تنمية القدرات الفكرية .

وعملية نقل الثقافة من جيل فى تاريخ الإنسان الطويل هو بالدرجة الأولى قضية تعلم عن طريق التمثيل والاستظهار، أن بعض المجتمعات البشرية تعرفت على الثقافة بمعناها الحرفى، وليس بالمعنى الانثروبولوجى الشامل، أى التاريخ الطبيعى للإنسان - عن طريق التعلم الأصولى، تماما كما يدرب الحرفى أو المحارب على مهنته، وكما يلقن الكاهن الأسرار الدينية، أما فى عصر النهضة فقد تغيرت وظيفة المعرفة فى المجتمع فأصبحت منتظمة ومرتكزة على أساس التفزع والبحث العلمى، كما أن العمل الووظيفى نفسه للمجتمع أصبح أكثر فأكثر على مجموعة معقدة وتجريبية من المعرفة معظمها تفنى وعلمى يلقن بطريقة أصولية .

ويحاول هذا الكتاب الاجابة عن سؤال واحد هو :

كيف عاش الإنسان فى الماضى - ولا نقصد بذلك كيفية العيش بالمعنى المادى فحسب - ولكن نقصد كيفية العيش بمعناها الواسع متضمنة وسائل لاقدرة على ضبط السلوك وتوجيهه توجيهاً صالحاً من خلال اختيار نمط معين من التربية

ويتفرع من هذا السؤال تساؤلات أخرى هى :

أ- ما العوامل والقوى الثقافية التى شكلت لكل جماعة أو مجتمع فلسفتهم وحددت لهم ما يتناسب وخصائصهم القومية نوع تربيتهم ؟

ب- ما الآراء والأفكار النظرية التى أثرت فى العقل البشرى للشعوب والمجتمعات وحددت لهم تطبيقاتهم التربوية .

ج- ما القدر الكافئ والمناسب من المعرفة التى اتخذها كل مجتمع أساساً لتكوين الإنسان من الناحية الفردية والاجتماعية ؟

openkanal.com

د- ما الدروس المستفادة من تجارب الأسلاف ويمكن توظيفها فى توجيه تعليمنا والتخطيط لمستقبل التربية ؟

وفى ضوء ما أسلفناه، يمكننا إيجاز أهداف هذا الكتاب فى الآتى :-

١- التعرف على ممارسة الأسلاف فى كل زمان ومكان فيما يتصل بتربية الإنسان بهدف إبراز أوجه القوة ونواحى القصور والضعف فى هذه الممارسات التربوية مع الألمام بالعضلة والعبرة والخروج بحكمة الحياة وفلسفتها، لأننا ببساطة شديدة نمثل ثمرة هذه الممارسات وتلك التنشئة بعيوبها ومميزاتها .

٢- تحليل العوامل والقوى التى أحدثت فى كل مجتمع ما نسميه بالخصائص القومية National Characteristics وبالتالى نتمكن من رؤية حركة التربية دون عزلها عن البنية الاجتماعية والثقافية أو الأهداف السياسية والظروف الاقتصادية التى شكلتها وجعلتها تبدو بالصورة التى ظهرت عليها، كل ذلك بهدف التنبؤ بمسارنا التربوى مستقبلاً مع ربط هذا المسار بتطورنا الحضارى .

٣- كما يهدف هذا الكتاب إلى الوقوف على الحلول التى ارتاها الاسلاف لمشكلاتهم التعليمية، وبالتالى يمكن الكشف عن القوى المحركة للنظريات التربوية وتطبيقاتها، وهذه فى حد ذاتها لها قيمة فى تعميق الجانب المهنى للمعلمين وإكسابهم جانبا هام فى حاجة إليه لنموهم المهنى ونعنى به الجانب الثقافى .

واستخدم الباحثان المنهج التاريخى وهو المنهج الذى يستخدمه الباحثون فى تشوقهم لمعرفة الأحوال والأحداث التى مرت فى الماضى، وهو

منهج لا يقتصر على مادة التاريخ فقط بل هو صالح للاستخدام فى مجـــالات متعددة منها مجال التربية والتعليم بهدف أحياء خبرات البـــشرية الماضـــية بطريقة لا نقاش على الأحداث والأحوال الواقعية لتلك الأزمنة.

والتاريخ يشير إلى الظروف التى ظهرت فى ظلها أشكال اجتماعيـــة معينة، وهو يهتم بالزمان والمكان والموقف، ويمكن للبحـــث التـــاريخى أن يكشف عن المعلومات التى تسمح لنا باستنتاج معين عن العلاقة الـــضرورية بين الزمن والموقف والطرائق التربوية .

obeikandl.com